تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم وأخذهم بالانتقام منهم فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريبا من وادي القرى وكانت العرب تعرف مساكنهما جيدا وتمر عليها كثيرا وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران باﷲ تعالى ورسوله صلى اﷲ عليه وسلّم { فكلا أخذنا بذنبه } أي كانت عقوبته بما يناسبه { فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا } وهم عاد وذلك أنهم قالوا : من أشد منا قوة ؟ فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد عاتية الهبوب جدا تحمل عليهم حصباء الأرض فتلقيها عليهم وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم من الأرض إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقعر { ومنهم من أخذته الصيحة } وهم ثمود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألوه سواء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم وتهددوا نبي اﷲ صالحا ومن آمن معه وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات { ومنهم من خسفنا به الأرض } وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا وعصى الرب الأعلى ومشى في الأرض مرحا وفرح ومرح وتاه بنفسه واعتقد أنه أفضل من غيره واختال في مشيته فخسف اﷲ به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة { ومنهم من أغرقنا } وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صبيحة واحدة فلم ينج منهم مخبر { وما كان اﷲ ليظلمهم } أي فيما فعل بهم { ولكن كانوا أنفسهم يظلمون } أي إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الاية وهو من باب اللف والنشر وهو أنه ذكر الأمم المكذبة ثم قال { فكلا أخذنا بذنبه } أي من هؤلاء المذكورين وإنما نبهت على هذا لأنه قد روى ابن جريج قال : قال ابن عباس في قوله : { فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا } قال قوم لوط { ومنهم من أغرقنا } قال : قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس : فإن ابن جريج لم يدركه ثم قد ذكر اﷲ في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان وقوم لوط بإنزال الرجز من السماء وأطال السياق والفصل بين ذلك وبين هذا السياق وقال قتادة { فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا } قال : قوم لوط { ومنهم من أخذته الصيحة } قوم شعيب وهذا بعيد أيضا لما تقدم واﷲ أعلم